النعم والرزق والغنى.. والشكر

- نعَم الله لا تنتهي حتى شكر النعمة نعمة تحتاج إلى شكر ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ (النَّمل: ١٩).
- شكر النعمة عن الآباء من البر.
- قد يُقصر الوالدان في شكر النعمة عليهما ومن برهما شكر ابنهما عنهما فشكر الابن كشكر الوالد: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ (الأحقاف: ١٥).
- الباذل تدوم نعمته ولو كان كافرًا، ففي الحديث: (لله أَقْوَامٌ يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ).
- النصر إذا لم يتبعه شكر تعقبه الهزيمة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمرَان: ١٢٣).
- إذا رفعك الله فلا تغتر، فربما رفعك ليضعك، تُحفظ النعم بالشكر، وتضيع بالكفر.
- النعمة التي لا تُقرب الإنسان إلى الله استدراج، والاستدراج أوله الصرف عن الخير وآخره الاشتغال بالشر.
- إذا ازداد الإنسان نعمة وهو يزداد ذنوبًا فالله يستدرجه ليُعاقبه، قال ﷺ: (إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ).

obeikandi.com

- لله حِكَم في النعم والنقم، يهدي بالواحدة منهما واحدًا ويُضل الآخر، والعبرة بالأثر... فمصيبة تهديك، خيرٌ من نعمة تُطغيك.

- إذا أنزل الله بك ضرًّا فقرّبك من الله فهو نعمة في صورة نقمة، وإذا أنزل عليك نعمة فأبعدتك عن الله فهي نقمة في صورة نعمة.

- من أشد أنواع العقوبة عقوبة النعمة تُعذب صاحبها ولا يحب تركها ليستمر عذابه ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ (التوبة: ٨٥).

- من كُفْر النعمة عدم نسبتها للمُنعم، قال سليمان عند رؤيته نعمة الله عليه: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ (النَّمل: ٤٠).

- كل نعمة أو نقمة يُنزلها الله فبسبب وحكمة ولكن الناس يفعلون الأسباب وينسونها ثم يستغربون النتائج: ﴿وما كان ربك نسياً﴾.

- أعظم غايات إبليس أن يكفر الإنسان بنعمة ربه ولا يشكرها: ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعرَاف: ١٧).

- نسيان النعم مجلبة للنقم، ولا ينشأ الفساد إلا مع كفر النعم: ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ (الأعرَاف: ٧٤).

- النعمة ترحل بكفرها حتى عن أطهر بقعة، فمحمد أعظم النعم، لما كفر به أهل مكة نقله الله إلى المدينة، النعم لا تُحابي البقاع، وإنما تتبع شاكريها.

- كفر النعمة سببٌ للعقوبات العامة وهلاك الدول ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا ﴾ (القَصَص: ٥٨).

- كفر النعم باب يفتح الفتن على الدول خوفًا وفقرًا وظلمًا: ﴿فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ (النّحل: ١١٢).

- إذا كان الإنسان (كَنُودًا) لربه: يذكر المصائب منه وينسى نعمه عليه، فكيف بحاله مع الناس يذكر الشر وينسى الخير: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ (العَاديَات: ٦).

- **فرح الإنسان بالرزق الذي يُعطاه بلا حمد وشكر لله يورث كفر النعمة والبغي فيها، وهكذا كان قارون:** ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ (القَصَص: ٧٦).

- **الأمن فالرزق فالكفر، هذه خطوات تنتهي بعقوبة:** ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ (النّحل: ١١٢).

- **الأمة المؤمنة التي تكفر بعد فضل الله عليها بالأمان ورغد العيش أسرع عقوبة من الأمة الكافرة التي تُرزق الأمن ورغد العيش وهي على كفرها.**

- **الغالب أن الله لا يُهلك الحضارات إلا في مرحلة اكتمالها وغاية بطرها، فيُرجعها الله إلى بداياتها** ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ (القَصَص: ٥٨).

- **يُبتلى الإنسان بالخير ويُفتن به كما يبتلى بالشر ويُفتن به، فشر يُقرب لله نعمة، وخير يُبعد عنه نقمة** ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبيَاء: ٣٥).

- **العافية بعد المصيبة فتنة، يختبر الله الشاكر من الكافر** ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ (الزُّمَر: ٤٩).

- **فتنة السراء تُبعد عن الله أكثر من فتنة الضراء. قال عبد الرحمن بن عوف: «ابتلينا بالضراء فصبرنا ثم ابتلينا بالسراء فلم نصبر».**

- **النعمة المفاجئة بعد بأس وفقر تورث طغيانًا فليحذر منها:** ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ (يُونس: ٢١) **النعمة بلا تدرج استدراج.**

- **النعمة تطغي الإنسان وتنسيه، فيبتليه الله بالآلام ليتذكر ربه ويعود إليه:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (الأنعَام: ٤٢).

- **إذا عَلِم الإنسان عند البلاء أنه ملكٌ لله يأخذ منه ما يشاء ويترك ما يشاء رضي عن ربه، وإذا علم أن الله يعوّضه عمّا يبتليه خيراً أحب ربه .**

- **الرزق يعطيه الله من يحب ومن يكره، يقرب به أقوامًا ويبعد به آخرين:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عِمرَان: ١٧٨).

يَمْنع رزق المخالف من يتأثر بمخالفته، قيل لعارف: لماذا وصف الله نفسه بخير الرازقين؟ قال: لأن عبدَه إذا كفرَ لا يقطَعُ رزقَه... لأن كفره وإيمانه لنفسه.

يظن الضال أن الله يرزقه لأنه يحبه والله يستدرجه ليغويه وينسيه فيُهلكه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٥، ٥٦).

يرزق الله الإنسان الخير بنيَّته أكثر من عمله: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ (الأنفال: ٧٠).

المحافظة على الصلاة وأمر الأهل بها من أسباب الرزق والإعانة عليه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (طه: ١٣٢).

من أسباب الرزق نصرة الضعيف المظلوم على القوي الظالم، ومن أسباب حرمان الرزق خذلانه، قال ﷺ (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ؟).

من عجز عن نصرة المظلوم فلا يمدح الظالم، فإنه لا يظلم إلا من اعتاد على المدح بلا نصح، فالمدح يُنسيه ويُطغيه .

قد يكون الحرمان نعمة والرزق عقوبة. ففي الحديث (إِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ).

الخير إذا أبعد عن الله فهو عقوبة: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٥، ٥٦).

قد يحرم الله الإنسان من شيء فيتألم: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ (القصص: ١٢)؛ لأنه خبأ له أفضل منه فلا يريده أن ينشغل عنه: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ (القصص: ١٣).

يدفع الله عن الإنسان رزقًا تفانى في تحصيله لأنه سيكون سببًا لدخوله النار، قال ابن مسعود: إن الرجل ليريد الأمر من التجارة أو الإمارة فإذا قدر عليه، قال الله للملك: ائت عبدي فاصرفه فإني إن أيسره له يدخل به النار فيعوقه الملك ويصرفه، فيظل يتظنى: دهاني فلان سبقني فلان، وما صرفه عنه إلا الله.

- الجاه أرض الأهواء التي تُنبتها، والمال ماؤها الذي يسقيها، ولذا لا تخلو بدعة وضلالة من أرض وماء وساقيها.

- الغنى يُهلك الأمم أكثر من الفقر، في الحديث: (والله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ؛ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ).

- وقد رأيت الأزمنة التي يبسط فيها الرزق ويكثر فيها العطاء ورغد العيش يكثر فيها القتل والبغي، والأزمنة التي يقل فيها ذلك يقل فيها القتل والبغي، والتاريخ والحال شاهد عدل، ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٧).

- أكثر انحراف الناس زمن الغنى والبطر لا زمن الفاقة والفقر: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ ﴾ (يُونس: ٢١).

- أكثر عقوبات الله للأمم تنزل زمن الغنى والترف لا زمن الفقر والفاقة.

- الحقّ والترف قلّما يجتمعان في أحد ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾ (سَبَإ: ٣٤، ٣٥).

- يحول الثراء بينهم وبين الحق، والمال قد تلتقطه في طريق، وقد ترثه من قريب، ولكن الحقّ لا تلتقطه الأيدي وإنما تأخذه العقول والقلوب بجهد ومشقة.

- الناس ينسون الله إذا اغتنوا ويلوذون به إذا افتقروا: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (الرُّوم: ٣٣).

- أعظم أسباب كسب النعمة ودفع النقمة التوكل على الله والاعتماد عليه: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ (آل عمران: ١٧٣، ١٧٤).

- من لم تقرّبه الشدائد من الله قلّما تعيده النعم إليه: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٣).

- قد يُعطي الله الكافر النعمة الظاهرة ولكن لا يرزقه النعمة الباطنة وهي الطمأنينة فيُعطيه ألف دينار ويشقى بها ويُعطي المؤمن درهم ويسعد به .

- شكر نعمة الله سبب لنعمتين:
  - بقاء النعمة.
  - والبركة فيها.

ومن كفر النعمة أزالها الله عنه، وإن أبقاها أذهب بركتها عنه وأشقاه بها.

# # #

obeikandl.com